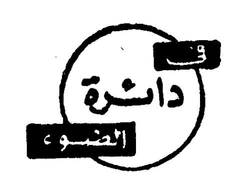


الاستشراق

أنور الجندي

دار الاعتصام

الاستشراق



لقد تبين من الدراسات الواعية المتعددة **مدى خطـــر** الاستشراق على الفكر الاسلامى ، ولم تبق الا دعوى « الدور الذى قاموا به فى تحقيق التراث الاسلامى » ومنها تبويب بعض كتب السنة وغيرها . ولا ريب أن الاستشراق يعمل على ايجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الاسلام بدأها بترجمة القـــــرآن والحديث النبوى وبعض الكتب المعروفة ، والهدف هو احكام الرد على ما فى هذه من قضايا معارضة للمسيحية من ناحية أو معارضة للنفوذ الأجنبى من ناحية أخرى والحقيقة ان هذه الأعمـــال لم تكن خاصة لوجه العلم وهى بالرغم من ضآلتها بالنسبة لعمل الاستشراق الواسع فى ابتعاث كتب التراث المتصلة بالفلسفة والتصوف الفلسفى والفـــرق المتصارعة والباطنية وغيرها فانها عمل مشكور لهم ولكنه لا يشكل ظاهرة يمكن أن تحول دون الغرض الحقيقى للاستشراق بما يخدع به دعاة التغريب ذوى النيات الحسنة من قومنا .

وهذه مجموعة من الحقائق :

أولا : المستشرقون يدرسون قضايا الاسلام (لغتـــه وتاريخه وشريعته وتراثه) بروح غير علمية ، تقوم اما على

سوء الفهم او سوء النية ، وهم لا يتصورون اى شىء الا فى حدود مفاهيمهم المسيحية اليونانية وعقليتهم الغربية التى تعودت على ربط الظواهر الانسانية بالجنس واللغة والقومية والبيئة فى حدود المفهوم المادى القائم على المحسوس ومن هنا كان الانسان عندهم ظاهرة قومية نشأت عن ظروف اقتصـــادية ومن شأن هذا التصور أن يجعـــل كل احكامهم على تاريخ الاسلام وشريعته وقيمه خاطئة ومنحرفة لأن الاسلام يقـــوم على تصور جامع بين الروح والمادة والعقل والقلب .

ثانيا : قدم المستشرقون كتابات اعطوها صفة العلم فى مختلف المسائل الاسلامية تدرس فى بعض الجامعات على أنها صورة صحيحة لما جاء فى الشريعة الاسلامية من أحكام وقواعد ، جاء بعضها محرفا وبعضها لا يتيد حكمة الشارع ثم بولغ فى تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الاسلام على وجهها الصحيح .

ثالثا : أخضع المستشرقون تاريخ الاســـلام لمفهـــوم المسيحية وتفسيراتها ثم أخضعوها لتفسيرات المادية الغربية ثم التفسيرات الماركسية .

رابعا : دخل المستشرقون الى مجامع اللغـــة وحولوا اهدافهم الى مناهج براقة سواء فى أحياء العاميات او الدعوة الى تعديل النحو أو اللغة الوسطى او الكتابة العربية المعاصرة

وكلها محاولات ترمى الى ايجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة .

ومن قبل ذلك تسللوا للبحث عن العاميات ولبسوا ملابس التجار والدبلوماسيين وصاروا يعملون بشتى الوسائل لجمع الأمثال العامية والمواويل بهدف مسموم هو القول بأن العامية لغة لها تراث .

وقد اولوا اهتماما شديدا لدراسة اللهجات فى البلاد العربية وعقدوا مؤتمرا خاصا لذلك فى مدينة ميونخ بألمانيا ١٩٥٧ وكتب المستشرقون فى ذلك كتبا منها : كتاب فى لغة الغجر فى البلاد العربية ودراسات فى اللهجات الامهرية . السحرية والقطرية وغيرها من اللهجات المستعملة فى جنوب الجزيرة العربية وعلى أطرافها .

والهدف فى التركيز على اللهجات العامية واضح فهم الذين قدموا تلك الفلسفة الضالة التى تقول ان العامية اقدر على تصوير المشاعر ، مع أن هذه المشاعر التى تصورها العامية هى المشاعر الساذجة ومشاعر طفولة البشرية أين منها ذلك الشعر الرصين والبيان العربى الذى يحمل صور المجتمع ألاسلامى والنفس الاسلامية فى مراحل الرشد الفكرى والهدف هو اضعاف لغة القرآن وتمييعها بالتحريض على استعمال اللهجات وتحطيم قواعد اللغة باسم التيسير .

خامسا : أثار الاستشراق دعوات مسمومة للتشكيك فى الاسلام والطعن فى مبادئه وتشويه الحضارة الاسلامية . ومن ذلك دعوتهم الى رفع لواء الانسلاخ من الماضى والتراث واحياء النزعات القديمة كالفرعونية والفينيقية والاشورية وأمثالها والغض من شأن الشعوب الملونة فى العالم الاسلامى ووصفهم بانهم أقل قدرة من الجنس الأبيض (الأوربى) فى مجـال السياسة والمدنية والعلم والفن . والعمل على فصل الدين عن الدولة وابطال فريضة الجهاد واثارة الشـبهات حول القرآن بطرح سموم على أيدى مسلمين توحى ببشرية القرآن للتشكيك فى انه من الله تبارك وتعالى والقول بتأثر الثقافة الاسلامية بالعقلية الاغريقية والفارسية ، وهم فى سبيل ذلك يعملون على انتزاع نصوص معينة من سياق المصادر لتأييد وجهة نظرهم ويعملون على اثارة التناقضات بين النصوص والمصادر .

سادسا : المبالغة فى تمجيد الحضارات الشرقية القديمة السابقة للاسلام والادعاء بأن الاسلام أخذ منها والبحث عن الأثر الغربى والأوربى فى الفكر الاسلامى والمبالغة فى تحديده واكباره وجعله شيئا اساسيا بالرغم من انه أقل من ذلك ومحاولة ارجاع العلوم العربية الى اصول يونانية .

سابعا : دراسة الحركات المضادة للاسلام والتوسـع فيها كالفتن الاهلية والخلافات المذهبية ومظاهر التفسـخ والانقسام والادعاء بانها ابرز ظواهر تاريخ الاسلام مع أن

تاريخ الاسلام حافل بالايجابيات ومراحل القوة والتمكن وان هذه الصـــور قليلة جـــدا وموجودة فى تاريخ جميـــع الامم والحضارات .

ثامنا : يدرس الاستشراق خصائص الفكر الاســـلامى بروح خصومه وبفكرة مسبقة قائمة على أحكام قوامها سوء نية وعجز عن الانصاف ، ويعجز الاستشراق عن أن يتخلص من عواطفه الخاصة وهو يدرس مجتمعا مختلفا ومنهجا متباينا مع فكره ومنهجه .

تاســـعا : توسعة شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين ، بينما أن هذه الخلافات لم تصل الى ما وصلت اليه بين فرق الأديان الأخرى وخاصة المسيحية لا فى طبيعتها ولا فى مداها فلا يوجد خلاف بين المسلمين على المبادىء الأساسية للاسلام مثل وحدانية الله ونبوة محمد [redacted] الله عليه وسلم والاعتقاد فى أن القرآن هو كلام الله والايمان باليوم الآخر . وانما وجد الخلاف فى الأمور التفصيلية فيما يعد أمرا طبيعيا فى مجتمع انسانى يضم أناسا من مختلف المناطق والأجناس والثقافات وانه لمن الخطأ أن تسمى هذه الخلافات اختلافات مذهبية لأنها ليست الا خلافات فقهية محصورة فى اطـــار دينى وقانونى عريض .

عاشرا : حاول الاستشراق الغض من عظمة الدعـــوة الاسلامية باثارة شبهات متعددة منها محاولة الادعاء بوجود

صلة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى (وقد كشفت البحوث عكس دعوى الاستشراق فان القانون الرومانى الحديث مأخوذ من مذهب مالك نقله نابليون معه الى أوربا) كذلك التشكيك فى عالمية الرسالة الاسلامية بالقول بأن الآيات جاءت بعد استقرار الرسالة ، والحقيقة ان آيات عالمية الرسالة كلها مكية ، كذلك اثار الاستشراق الشكوك حول الكتب التى بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك وزعموا انها وضعت فى صورتها الأولى بعد قرن من حياة النبى وقد كذبتهم البحوث العلمية الحديثة التى أثبتت صحة هذه الرسائل .

حادى عشر : يذهب المستشرقون الى ابعد حدود المغالطة حين يواجهون تاريخ الاسلام بأهوائهم فهم معجبون ببنى أمية لأن احدهم (أبا سفيان) كان عدو الرسول (ما كتبه هنرى لامانس عن معاوية ويزيد) .

أما عهد العباسيين فالدولة الاسلامية خرجت من يد العرب .

أما المغرب فيسمونها بلاد البربر وهذه التسمية دسيسة تافهة لأن أهل المغرب عرب وبربر ولكنهم مسلمون أولا .

وهم لا يتحدثون عن الملوك الذين وطدوا الدولة بل عن الخارجين (بنى رستم الخارجين أيام عبد الرحمن الداخل وبنى مدرار أصحاب سلجمار) ويتولون عن المأمون أن دولته

فارسية ونهضة العلوم فى عصره نهضـــة غير عربيـــة ، ولا يتحدثون عن الرشيد الا عن نكبة البرامكة وينقلون رسالة مذوبة عن أبى يوسف الى ابن المقفع فى معاملة أهل الذمة لكى يؤكدوا ما يدعيه المستشرقون من سوء حالتهم فى ظل الاسلام ويهتمون بمدرسة حران الفلسفية ويقفون طويلا عند المعتزلة وينقلون عنهم رأى المسعودى دون غيره ويتحدثون عن المعتصم والأتراك ، ويتخيرون فقرات من رسالة الجاحظ فى فضلهم لا يوردون فقرة واحدة عن فضل العرب . أما القرامطة فهم عندهم طلاب عدل واصلاح ويروون قصة مصرع الخليفة المتوكل برواية الطبرى وتفاصيل فتنة الزنج فى جنوب العراق برواية النويرى وقصة القرامطة برواية الطبرى ويأتى بخطاب احمد القرمطى الى الخليفة المقتدر وهو خطاب يصورهم فى صورة طلاب عدالة واصلاح وعندما يتحـــدثون عن الدول المنشقة التى انتهت بالقضاء على وحدة الدولة العباسية : الصــــفاريين والســــلمانيين والطاهريين والبوهيين ويطلبون الوقوف عندهم لأنهم دول فارسية ، فى كتابة تاريخ المغرب حاولوا الوقيعة بين البربر والعرب وفى المشرق حاولوا الايقاع بين العرب الفرس . ويعجبون بالفاطميين لأن مذهبهم لم يلق قبولا من جماعة المسلمين وعندما يتحدثون عن الصليبيين يفخرون بأنهم قتلوا عندما دخلـــوا القدس ٦٥ (الفـــا) من المسلمين .

ثانى عشر : وضعوا أساس الشبهات ثم نسبوها الى كتاب عرب ومسلمين فالشــــعر الجاهلى والأدب الجاهلى

أساسهما بحث عن انتحال الشعر لمرجليوث ، وكتاب الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق أساسه كتاب عن الخلافة الاسلامية لمرجليوث . ومع المتنبى لطه حسين أساسه بحث لبلاشير ، و ..

ثالث عشر : غلبة التفسير المسيحى على التحليل والعرض ، فدرمنجم يقول ان تعاليم أهل الكتاب هى التى لفتت نظر سيدنا محمد الى الكمال الروحى والمثل الأعلى وجعلته يتحنث فى الغار وهذا كذب صراح ، كما يحاولون تصور أن القرآن جاء من الكتب السابقة وان الهجرة كانت الى الحبشة لأنها مسيحية ، والحقيقة ان الدافع الحقيقى ليس لأن النجاشى مسيحى بل لأنه كان عادلا قال النبى : لأن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى ارض صدق) ولذلك فليس للعاطفة الدينية اثر فى تصرفاته وحاول درمنجم أن يستدل بأن الله رضى للناس الاسلام دينا مع بقاء سائر الأديان التى سبقت وحدة مندمجة .

وهذا غير صحيح ، لأن الاسلام جاء خاتما للرسالات وداعيا أهل الكتاب للدخول فيه لأنه دين الله الحق وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن متصلا بأهل الكتاب .

ويدعى مرجليوث أن النبى محمدا كان يعرف القراءة والكتابة ويتخذ من آية (اقرأ) مع ان اقرأ لا تعنى قراءة المكتوب وانما تعنى قراءة ما يوحى اليه .

ومن اخطائهم ادعاؤهم بأن العرب كانوا قبل الاسلام على استعداد للملك والنهضة وان دور النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن اكثر من قيادة جماعة مهيأة ، وذلك باطل صراح فان العرب فى مكة أمضوا ثلاثة عشر عاما فى محاربة الدعـــوة الاسلامية والاصرار على عبادة الأصنام حتى هاجر النبى الى مجتمع آخر هو الذى تقبل دعوته . ولقد كانت دراستهم لأحوال العرب قبل الاسلام تحاول أن تستهدف هذه المحاولة المضللة مع ان الاســـلام هو الذى شكل للعرب وجـــودهم الحقيقى ، وان دعوة الاسلام الى التوحيد كانت شيئا جديدا بالنسبة للوثنية العربية .

وهذه محاولة مضللة فى الاهتمام بالغساسنة والمناذرة وأعلاء الجاهلية واعتبار الاسلام اقتباسا منها .

ومن ذلك انكار الوحى للوصول الى القول بأن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم .

وكل محـــاولات الاستشراق فى القـــول بأن الأفـــكار الأساسية للاسلام مستقاة من الكتاب المقدس ، أو أن طابع الانجيل موجود فى القرآن أو أن هناك اصـــلا يهوديا للاسلام (بروكلمان — فون كريمر — مونتجمرى وات) أو بروكلمان فكل هذا باطل .

ذلك لأن مصدر الأديان السماوية واحد ولذلك فلابد أن

تكون هناك علاقات مشتركة لأن الدين كله من عند الله وهو التوحيد ولكن رؤساء الأديان حرفوه ، اما الاسلام فقد حفظه الله تبارك وتعالى .

وقد عجز المستشرقون مع الأسف — كما يقول محمد أسد (ليوبولد فايس) عن استيعاب خصائص التصور الاســلامى ومقوماته الأساسية ومن ثم فانهم لا يستطيعون أن ينفذوا الى أعماق الحياة الاسلامية ويستحيل على المستشرق أن يفهم الوحى ، أو الهجرة ، او ينفذ الى أعماقها لأنه بعيد بحكم تكوينه النفسى وتفكيره عن هذا النظام .

ولهذا اعتبر (توينبى) الهجرة مبدأ التدهور فى تاريخ الرسالة المحمدية ويزعم مونتجمرى وات حين يتحدث عن المعاهدة التى عقدها بين المسلمين واليهود بعد الهجرة ان كلمتى اسلام ومسلم لم تكن مستعملة فى الفترة المبكرة من العهد المدنى ويرجع هذا الى انه تجاوز فى الترجمة وحرف .

ومن الشبهات التى يثيرها المستشرق فون كريم الادعاء بأن الامامين الاوزاعى والشافعى وقد ولدا فى سوريا كانا على علم بكثير من قواعد القانون الرومانى البيزنطى وقد ثبت ان هذا القول مجرد اسطورة فمن الثابت أن مدرسة بيروت لم تكن موجودة عند الفتح الاســلامى للشام وان الشــافعى والاوزاعى لم يعرفا القانون البيزنطى .

رابع عشر : ان القول بأن مصادر النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن هى التوراة والانجيل من المسائل التى يكاد الاستشراق يجمع عليها ويرددها سواء من كانوا من مستشرقى اليهود أو النصارى والواقع أن هذا الاتهام باطل بدليل واحد ان مفهوم القرآن للتوحيد يختلف عن مفهوم التوراة المكتوبة بأيدى الأحبار أو الاناجيل الموجودة فى أيدى الناس الآن فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم وحمل القرآن لواء الدعوة الى التوحيد المطلق ، كما يقول الدكتور عبد الجليل شلبى : اله العالم كله واحد . اله مجرد من المادة وعن التركيب . كان الاله عند اليهود (يهوه) وهو الههم وحدهم وقد ظلوا على ذلك ردحا من الزمن حتى جاء النبى (اليجا) أول من جهر بانه اله العالم كله وظهر بشىء غريب أيضا على اليهود هو أن حكم الله يجرى على الملوك كما يجرى على أبناء الشعب ولهذا لم تكن الديانة اليهودية موحدة بالمعنى الحقيقى وانما كانت ديانة توحيد بالنسبة لجيرانها فقد كان لدى الآخرين آلهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم كل له اله خاص، واذن فالتوحيد الاسلامى نوع فريد فى كل ما أعلن من صفات الله خالق الكون سبحانه .

المسألة الثانية : أن القرآن لم يذكر قط قصص الاسرائيليين بل ذكر قصص داود وصالح والخضر وشعيب وسبأ ، أما الكتاب المقدس فقد اقتصر على ذكر الشعب المختار وتاريخه وهو لم يتم بوضعه الحالى الا بعد القرن الثانى الميلادى .

ولأنهم ينكرون الوحى السماوى فانهم يبحثون عن مصدر معلومات القرآن ولا يزالون مختلفين . قال مونتجمرى وآت : أن محمدا نال معلومات ممتزجة من اليهودية والمسيحية معا ، وبذل جهدا واسعا فى سبيل الاستدلال على ذلك ، كذلك فعل (درمنجم) ولكن الوقائع فى المقارنة بين القرآن من ناحية وبين التوراة والانجيل تكذبهم فى هذا الادعاء العريض .

خامس عشر : فى محاولة لتأييد النفوذ الأجنبى الذى فرض القانون الوضعى كانت حملة الاستشراق على الشريعة الاسلامية ، جولدزيهر وشاحت وغيرهم الذين كانوا ينشرون دعايتهم الرامية الى القول بأن الفقه الاسلامى جامد ولم يتطور وسيبقى جامدا الى الأبد وانه لا يحتوى على قواعد عامة وانما يتناول النوازل الخاصة .

وذهب بعضهم الى القول بانه لا يوجد فكر سياسى اسلامى ، وانما الذى عرفه المسلمون هو الفكر الفارسى واليونانى وقد كذبت الحقائق الناصعة دعاوى الاستشراق وكتب كثيرون كاشفين عن عظمة الشريعة الاسلامية وقدرتها على الاستجابة للعصور والبيئات وكيف أن للمسلمين فكرهم السياسى الخاص ومن أبرز هذه الدراسات كتابات الدكتور ضياء الدين الريس .

كذلك فان مؤتمرات دولية من رجال القانون عقدت خلال القرن الرابع عشر الهجرى شهدت باصالة واستقلال وعظمة

الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى ، وأكدت انها شريعة قائمة بنفسها ليست مأخوذة من غيرها وأنها خلافا لما قال خصومها حية وقابلة لمسايرة الحياة الاجتماعية فى اطار القواعد الثابتة وان مبادئها لها قيمة حقوقية تشريعية لا مراء فيها .

سادس عشر : كذبت الحقائق دعاوى الاستشراق فى أن التصوف الاسلامى اخذ من الافلاطونية الحديثة أو مذاهب المسيحية أو أن البلاغة العربية اخذت من كتاب الخطابة لأرسطو أو أن الفقه الاسلامى اخذ من مدونة جوستنيان .

كذلك كذبت الوقائع دعاوى الاستشراق واتباعهم عن اسقاط الرواية الاسلامية لشعر عصر البعثة النبوية وما كان منه طعنا على الاسلام وهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فان الاسلام لم يصادر هذا الأدب والدليل ما رواه ابن اسحق فى السيرة النبوية من قصائد المشركين واليهود وهى لا تقل فى الاحصاء عن قصائد الشعراء مع النبى وخاصة فى موقعتى بدر واحد .

سابع عشر : ليس ادل على سوء نية الاستشراق فى البحث، من أصرار لويس ماسنيون على متابعة اثار الحلاج خلال اربعين سنة حتى نشر ذلك المجلد الضخم فى ١٤٠٠ صفحة ثم اخذ يتتبع متروكاته فطبع ما ورد عنه فى الفقرات النثرية

ثم نشر ديوانه الشعرى وقد جمعها قطعا متفرقة من نحو مائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع .

وقد ركز اهتمامه على المقاطع التى يوضح بها الحلاج اتحاده بالله بل معادلته له به (جل شأن الله عن ذلك وعلا) كذلك ما حرص الاستشراق واتباعه من ابراز الشخصيات المعادية للسنة وللاسلام مثل ابحاثهم عن مسيلمة الكذاب ، وعن عيلان الدمشقى والاشادة بهما أو كذاب اليمن الاسود العنسى ووصف كل منهم بالبطولة مع انهم جميعا خارجون عن مفهوم الاسلام الصادق .

ثامن عشر : لقد تجمع فى تحرير دائرة المعارف الاسلامية اخبث واخطر رجال الاستشراق من يهود وغيرهم ممن يكنون الكراهية للاسلام ولذلك فقد حرصوا على صنع مواد الدائرة بمفاهيم كنسية ويهودية وتأخذ دائرة المعارف الاسلامية القصة اليهودية للعهد القديم فى خلق آدم عليه السلام فيحيلها مصدرا لقصة آدم فى دائرة معارف اسلامية .

كذلك فهم يأخذون وجهة نظر اليهود فى ابراهيم واسماعيل واسحق ويزيفون مفهوم فلسطين وعروبتها ويحاول الاستشراق اليهودى اعطاء فكرة للعالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام .

ويعمل رونسون فى كتابه عن الرأسمالية والاسلام

تشويه التاريخ الاسلامى ورفع العنصر اليهودى على حساب العرب .

تاسع عشر : حرص الاستشراق على تصوير المجتمع الاسلامى فى مختلف العصور وخاصة فى العصر الأول على انه مجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله ، وهم فى كل محاولاتهم المسمومة للانتقاص من الاسلام ولغته وتاريخه وتراثه يخضعون النصوص للفكرة التى يفرضونها مع تحريف هذه النصوص تحريفا مقصودا واساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف وتحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث ومن كتب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ويصححون ما نقله الدميرى فى كتاب الحيوان (وهو ليس ذا قيمة علمية صحيحة) ويكذبون ما يرويه مالك فى الموطأ كل ذلك انسياقا مع الهوى وانحرافا عن الحق .

وهم يستخدمون كتب التراث استخداما خبيثا فيبرزون كل ما يفرق ويخفون كل ما يجمع ويغلب عليهم سوء الظن وسوء الفهم والهوى .

العشرون : يحاول كل من الاستشراق المسيحى خطة والاستشراق الشيوعى خطة مختلفة والاستشراق الصهيونى خطة ثالثة ، كل منها يهدف الى تحقيق غرض خاص ولكنها جميعا تطبق على الاسلام بالعداوة والخصومة والحقد الدفين .

دار العلوم للطباعة
القاهرة: ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٨٣ — ٤٠٥٠
الترقيم الدولى ٨ — ٤٨ — ١٤٢ —٩٧٧